

أَقِيمْ عَلَى التَّقْوَى وَأَرْضَى بِفِعْلِهَا وَ كُنْتُ مِنَ النَّارِ الْمَخُوفَةِ أَحَدَرًا^(١)

وتبدو هذه الأبيات منقطعة الصلة بما قبلها وما بعدها ؛ ولذلك فقد اضطرب الرواة في مكانها من القصيدة ، مما يدل على أنه أقحمها إقحاماً لكي يُنشدها أمام الرسول ، ونراه فيها يمدحه بما أتى به من الهداية وما أنزل عليه من القرآن ، كما يفخر بإسلامه وجهاده ومراعاته لمبادئ الدين وآدابه .

وفي آخر القصيدة يعود إلى الفخر بقومه فيقول :

بَلَّغْنَا السَّمَاءَ مَجْدُنَا وَ جَدُّدُنَا وَإِنَّا لَنَبْغِي فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا

وَيَذْكُرُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ آنَذَاكَ : « إِلَى أَيْنَ يَا أَبَا لَيْلَى ؟ » فَأَجَابَ :
« إِلَى الْجَنَّةِ . » فَقَالَ : « إِنْ شَاءَ اللَّهُ ! »

ويختتم القصيدة بأبياتٍ في الحكمة يقول فيها :

وَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُعْكَرَّا

وَلَا خَيْرَ فِي جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَلِيمٌ إِذَا مَا أَوْرَدَ الْأَمْرَ أَصْدَرَّا

فَقَبِي الْحِلْمُ خَيْرٌ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ وَفِي الْجَهْلِ أحيانًا إِذَا مَا تَعَدَّرَا^(٢)

كعب بن زهير

ونختتم هذا الحديث عن مُدَّاحِ الرسول ﷺ في حياته بالكلام عن هذا الشاعر الذي تجاوزت مِدْحَتُهُ للرسول ﷺ شهرة كل المدائح السابقة ، ونخلدت اسم صاحبها في تاريخ الشعر العربي حتى اليوم .

الشاعر هو كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ الْمَزْنِيُّ^(٣) ، وأبوه هو الشاعر

(١) المجرة : مجموعة كبيرة من النجوم تتراعى في السماء كوشاح أبيض ، وسهليل : نجم من النجوم اليمانية ، غور : غَرَبَ وَأَقْل .

(٢) الجهل هنا هو الإسراع إلى الشر ، وأورد الأمر وأصدره : عرف كيف تكون مداخل الأمور ومخارجها .

(٣) عن كعب بن زهير انظر : العصر الإسلامي للدكتور شوقي ضيف ، ص ٨٣-٨٨ ، و بروكلمان ج ١ ،